عصور الجديدة

مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي
تاريخ الجزائر - جامعة وهران - الجزائر





عدد خاص بقسنطينة عاصمة الثقافة العربية

عدد 18 خريف (أكتوبر) 1436 - 1437هـ 2015م









ISSN 2170 - 1636

OUSSOUR
AL-JADIDA

Scientific Revue edited by History of Algeria Laboratory Research
Oran University





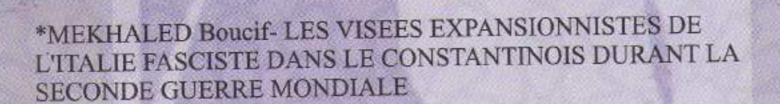
Issue 18/Summer (August) 1436h/2015



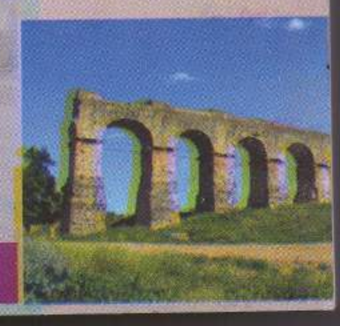


*MEKHALED Boucif- LES VISEES EXPANSIONNISTES DE L'ITALIE FASCISTE DANS LE CONSTANTINOIS DURANT LA SECONDE GUERRE MONDIALE

*NOURINE ELAID Lahouaria - Constantina: una aproximación histórica y una confesión de una estancia encantadora









Dépôt légal :1156 -2014

ISSN 2170 - 1636

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des sciences humaines et des sciences islamiques

جامعة وهران 1
Université d'Oran 1
أحمد بن بلة

عصور الجديدة

مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر

تاريخ الجزائر- جامعة وهران1 أحمد بن بلة

عدد 18 خاص بقسنطينة

خريف(أكتوبر) 1436- 1437هـ/2015م

ردمد ISSN 2170-1636

الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

إقليم قسنطينة في كتابات الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية في ضوء المجلة الأفريقية.

أ.د حنيفي هلايلي*

مقدمة: افتتح أبو القاسم سعد الله كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، في الجزء السادس بموضوع حلقات اللغة العربية التي سميت بالكراسي. والتي كانت موجهة إلى الفرنسيين، مدنيين وعسكريين، لتعليمهم اللغة العربية الفصحى والعامية. وقد بدأت هذه الكراسي في ديسمبر 1832م، وانتهت بدمجها في مدرسة الآداب والمدارس الشرعية الثلاث سنة 1879م. وكان ذلك بداية لنشاط الإستشراق الفرنسي الذي ارتبط منذ البداية بإدارة الإحتلال [1].

تميز هذا النشاط بإنتاج النصوص والوثائق، واشتغل المستشرقون والمترجمون في اللجان العلمية والجمعيات المتخصصة لنشر أبحاثهم وللتعريف بالشعب الجزائري في كل مراحل تاريخه. ومن كل هذا ركز الكتاب الفرنسيون ضمن اكتشاف الجزائر العلمي التي كونتها الحكومة الفرنسية على نشر أعمالهم التاريخية. وعلى هذا الأساس ارتأينا التعريف بأعمال هؤلاء المستشرقين في كتابتهم عن الحركة العلمية والثقافية في قسنطينة من خلال دراسة نشرت في المجلة الأفريقية كجانب تطبيقي [2].

من الواضح أن يهتم المستشرقون الفرنسيين بالشعب المستعمر دينا ولغة وعادات وأثاراً وتاريخاً. فالمستشرقون كانوا جنوداً في الميدان بلباس مدني. وخلال المرحلة الثانية أنتجت مدرسة الاستشراق أعمالاً ضخمة كما شهدت ظهور المستشرقين المحترفين الذين تخرجوا من مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وتكوّن البعض منهم في مدرسة الآداب بالجزائر، كما برز إلى جانب المستشرقين مجموعة من الجزائريين الذين تكونوا في المدرسة الشرعية- الفرنسية، وقد أصبح هؤلاء الجزائريين معاونين مع المستشرقين يخدمونهم في مختلف التخصصات [3].

بعد أن اكتشفت الإدارة الاستعمارية في الجزائر منذ سنواتها الأولى أبعاد التراث الثقافي والفكري والحضاري العربي الإسلامي في الجزائر، وأدركت أهمية فهم هذا التراث لإرساء قواعد الاستعمار على أسس قوية، شرعت في عملية واسعة لجمع هذا التراث المكتوب منه والمروي من كل المناطق التي كان موزعا فيها بهدف تمحيصه وتقييمه واستخلاص النتائج منه. وقد استعانت في ذلك ببعض الجزائريين، مثل ما فعله البارون بواسوني (1811-1902م) (Laurent-Estéve- Barron Boissonnet) الذي عين في شهر أوت 1845م على رأس المكتب العربي بمصلحة الشؤون العربية في مدينة قسنطينة. وقد دخل هذا الأخير الجزائر سنة 1838م. ثم رافق الأمير في بو(Pau) وأمبواز (Amboise)سنة 1848 خلفا لدوما

---

* أستاذ التعليم العالي في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس.

(Daumas). كان بواسوني يعرف اللغة العربية بشكل جيد فوظف هذا العنصر لخدمة الإدارة الفرنسية بتكوينه لعلاقات جيدة مع طائفة من (المثقفين) الجزائريين وتوظيفهم لتقديم خدمات علمية وثقافية للإدارة الاستعمارية. ويعد بواسوني حسب رين (Rinn) أول فرنسي لفت الانتباه إلى ملامح وخصائص البربر في الجزائر، وأنه من أوائل المستشرقين العسكريين(4).

اهتمت الدراسات الفرنسية بكل ما يتعلق بشؤون الجزائر منذ أوائل الاحتلال سنة 1830م، وكان وراء هذا الاهتمام البحث المستمر في مختلف المجالات من طرف المستشرقين المهتمين بالدراسات الشرقية وهذا في إطار مشروع اكتشاف الجزائر العلمي(5). وقد رافق الحملة كوكبة من العلماء المتعطشين لحضارة المنطقة(6)، وتميز العهد الفرنسي بالأبحاث التي قامت بها مختلف اللجان والجمعيات(7).

لعبت كلية الآداب الدور الرئيسي حيث ظهر الارتباط الدقيق بينها وبين إدارة الاستعمار، وبالأحرى بين الإدارة والاستشراق، يقول المستشرق هنري باصيه (Henri Basset) عن أهمية الأعمال المقدمة: "إن المجالات التي عالجها المستشرقون (يسميهم المستعربين) في الجزائر خلال رحلتهم هي: المعاجم واللسانيات والخطوط، والتاريخ الديني، وتحقيق وترجمة النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية والفقهية والعلمية، ثم الدراسات الإثنوغرافية والفلكلورية والكتب المدرسية"(8).

إن السؤال الجدير بالطرح في هذا المجال هو، لماذا اهتم شارل كالبر(9) Charles Martin Saint (Calbre) بثلاثة أعلام من حاضرة قسنطينة للتعريف بإنجازاتهم حول تاريخ قسنطينة؟(10)، لعل الجدير بالملاحظة أن كتابة هؤلاء كانت بإيحاء من الإدارة الاستعمارية التي ارتأت فيهم خير معاون لها في إدارة شؤون الجزائر خلال هذه الفترة.

واللافت للنظر أن من أبرز الفرنسيين الذين خدموا ميدان الإستشراق وترجمة النصوص، وكان على اتصال بالمثقفين الجزائريين خلال هذه الفترة شارل فيرو (Laurent-Charles Féraud) (1829-1888م). إذ كان من المستعربين المرموقين الذين اتصلوا بالمجتمع الجزائري ودرسوا تراثه، ووجه أبحاثه إلى خدمة الاستعمار الفرنسي، ويعتبر مرجعا هاما لا يمكن الاستغناء عنه فيما يتعلق بتاريخ قسنطينة وإقليمها خاصة في العهد العثماني، وذلك بجمعه لوثائق كثيرة حول تاريخ الإقليم ومدنه. وفي ضوء خبرته بالشؤون الجزائرية أبقاه القادة العسكريون في إقليم قسنطينة إلى جانبهم، ثم أصبح منذ الحكم المدني 1871م ملحقاً بالحاكم الأميرال دي قيدون في العاصمة (Louis Henri de Gueydon) (1871-1873م). وأثناء سنواته الطويلة في إقليم قسنطينة جمع فيرو وثائق كثيرة حول تاريخ الإقليم ومدنه وأهله وآثاره. كما ساهم في جمعية الآثار القسنطينية وهي أقدم الجمعيات ظهوراً (1852م)، ونشر بمجلتها 19 مقالاً، إلى جانب نشاطه في الجمعية التاريخية التي كانت تصدر المجلة الأفريقية ونشر بها 100 دراسة. ربط فيرو

علاقات مع الأعلام والمشايخ والعلماء، ووظف علمه وفكره وعلاقاته لخدمة الإدارة الاستعمارية، وقدم خدمات جليلة للإستشراق الفرنسي(11).

إن كثيرا من التآليف التي قام بها الجزائريون كانت بطلب من رجال السلطة الفرنسية المحلية أو من شخصيات عسكرية أو علمية، ومنها كما هو موثق في المقال الذي قمنا بدراسته والتعليق عليه في هذه الدراسة.

استهل كالبر دراسته بإعطاء نبذة وجيزة عن الموقع الإستراتيجي لقسنطينة، ومدى انبهار الكتاب والرحالة والفنانين والرسامين والمؤرخين بجمال وسحر المدينة، فهي في نظره مدينة الهواء والهوا، حاضرة الجمال، مدينة الصخرة(12)، وحسب المؤلف فإن مدينة قسنطينة حظيت باهتمام كبير من الكتاب الجزائريين الذين حاولوا أن يؤرخوا لأحداثها السياسية والعسكرية، ويدونوا أخبارها خاصة في الفترة العثمانية، وهم من مثقفي القرن التاسع عشر الميلادي. ومن بين هؤلاء: الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار القسنطيني، والشيخ محمد بن الصالح بن العنتري، ومحمد الشاذلي بن محمد بن عيسى.

ومن بين المثقفين الذين عنوا بتاريخ إقليم قسنطينة خلال الفترة الاستعمارية أحمد بن المبارك(13) الذي ألف كتاباً (تاريخ حاضرة قسنطينة) تعرض فيه باختصار للأحداث التي شهدتها قسنطينة في العهد العثماني، مع إشارة خاطفة إلى تأسيس المدينة وموقعها وتحصيناتها، وركز على أهم الأعمال العمرانية لصالح باي (1771-1792م) وقصة مقتله ومكانته، ثم ذكر بعض الحصارات التي تعرضت له قسنطينة من الأعراب الهلاليين وأبي عنان المريني (القرن14م) ومراد باي تونس (1700م) وحمودة باشا التونسي(1783) والثائر ابن الأحرش الدرقاوي (1805م). كما عرف ببعض البايات ممن تولوا حكم بايليك قسنطينة مثل حسين الكلياني وحسن بوحنك وحسن أزرق العينين وأحمد باي القلي وصالح باي.

لن نسترسل في استعراض كل القضايا التاريخية التي تدارسها المبارك في كتابه، بل نؤكد أن أسلوب الكتابة كان بسيطا تتخلله الدارجة والألفاظ العامية، وقد كتب المصنف سنة 1852م بطلب من مدير المكتب العربي بقسنطينة (بواسوني). وهذا ما جعل الكاتب يهمل الجوانب الثقافية والاقتصادية لقسنطينة ويركز على الأحداث السياسية دون تحليل وتمحيص، وأن الفترة العثمانية هي فترة الاضطرابات والقلاقل والفتن ومظالم البايات، وهي محاولة من الكاتب لرصد محاسن الإدارة الفرنسية التي يمثلها بواسوني التي كانت تتظاهر بفرض النظام وهيبة الحكم الفرنسي وإقرار العدل.

وقد أعطى المستعرب الفرنسي ألفريد دورنو (1875-1950) (Alfred Dournon) مدير المدرسة الرسمية بقسنطينة أهمية للكتاب فقام بترجمته إلى الفرنسية ونشره في المجلة الأفريقية(14). كما قام الكاتب الجزائري نور الدين عبد القادر بتصحيحه والتعليق عليه ونشره سنة 1952(15).

وهذا ما نص عليه العنتري في كتابه توضيحاً لمساوئ العثمانيين ومحاسن الفرنسيين: "وهذا فرق ظاهر بين الدولتين (يقصد الدولة العثمانية وفرنسا)، فإن ظلم الترك ليس مخصوصا بمحل بل هو عام في أرضهم الأصلية وفي غيرها، فما تحت أيديهم كما يعلم ذلك من سافر إليهم وشاهد أحكامهم بخلاف الفرانسيس فإن أرضه الأصلية في غاية العافية بسبب العدل بينهم، وعدم الظلم فسار هذا إلى كل تحت أيديهم ومن لم يعلم ذلك يسأل العارفين"[20]، إن العنتري يتحامل على الحكم العثماني بشكل صريح، وكأنه عاش في الأرض الفرنسية برهة من الزمن ليقدم مثل هذه الأحكام الاعتباطية.

سمح للعنتري بفضل علمه الاتصال بالإدارة الفرنسية وأن يتولى التدريس بالمدرسة الرسمية، وأن يسند إليه منصب قاض بمحكمة قسنطينة، كما وقع عليه الاختيار ليكون ضمن وفد علماء قسنطينة وأعيانها الذين أرسلتهم فرنسا إلى باريس (1844) للتعرف على المعالم الحضارية الفرنسية، وظل العنتري على اتصال بالإدارة الفرنسية بقسنطينة مشتغلاً بالتأليف[21] والتدريس والقضاء حتى وفاته سنة 1876م.

احتوى كتاب "تاريخ قسنطينة" للعنتري على معلومات وافية وملاحظات عديدة عن إقليم الشرق الجزائري، وتميز أسلوبه بالبساطة في التعبير والوضوح في اللغة، مستعملا تعابير ومفردات عامية كانت شائعة وقتذاك. كما التزم بالعرض التاريخي للأحداث، وتجنب الاستطراد مع ذكره للأمثال الشعبية وأقوال الأولياء المتصوفة، واستفاد من الوثائق الرسمية التي وضعتها الإدارة الفرنسية بالمكتب العربي بقسنطينة تحت تصرفه.

أخذ عن العنتري كل من مَرْسِييه (1840-1907) (MERCIER,E) وفايسات (VAYSSETTES ,E) (1826-1899) في تاريخهما لقسنطينة لكن من دون ذكر اسم كتابه في المصادر.

يمكن إعادة النظر في بعض المواقف التي سجلها العنتري بخصوص الحاج أحمد باي والحكم العثماني، ومدى إعجابه بالحكم الفرنسي وتبريره لأساليب الإدارة الفرنسية المحكمة. والراجح أن هذه الأحكام راجعة بالدرجة الأولى إلى طبيعة مهنته باعتباره موظفا لدى الإدارة الاستعمارية. لكن يبقى الكتاب ذو أهمية تاريخية بالنسبة لتأريخ قسنطينة وباياتها وتاريخ العلاقات بين الجزائر وتونس خلال فترة بايات تونس.

يعتبر محمد الشاذلي بن محمد بن عيسى من الشخصيات البارزة في قسنطينة خلال بداية الاحتلال الفرنسي، وهو شخصية متعددة الجوانب إذ ترك مجموعة من القصائد بعضها في مدح قسنطينة وأهلها ومدح باريس وتهنئة الدوق دومال عند استسلام الأمير. وقد لعب الضابط بواسوني دور لا يستهان به في حياة الشاذلي إذ أقنعه بتولي وظيفة القاضي بقسنطينة، ورشحه للرحلة إلى فرنسا وأوروبا فيما بعد، واقترح

من أبرز من كتب عن قسنطينة أيضا الشيخ محمد الصالح بن العنتري الذي ألف كتاباً عن بايات قسنطينة، وهو من مواليد قسنطينة ما بين 1790-1800م، اختاره الضابط الفرنسي بواسوني للعمل معه في مكتبه ككاتب، فطلب من العنتري أن يؤلف له كتابا عن مدينة قسنطينة بعد أن قام بوضع منهج وخطة للكتاب الذي بدأه سنة 1843م، وأتمه سنة 1846م، ونقحه سنة 1882م، فجمع فيه ما نتهى إليه من أخبار قسنطينة في العهد العثماني منذ ولاية فرحات باي (1641- 1653)، وتوسعه في سرد الأحداث والوقائع التاريخية ما يتعلق منها بالحكم العثماني وخاصة في عهد أخر باياها الحاج أحمد باي (1826-1937م)، واختتم الكتاب بزيارة الدوق دومال (1847-1848) (Duc d'Aumale) لمدينة قسنطينة سنة 1846م.

مما لاشك فيه أن كتاب "تاريخ قسنطينة" قد عرف بعدة عناوين منها: كتاب الأخبار المبينة لاستيلاء الترك على قسنطينة"، و"فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطاها" و"تاريخ بايات قسنطينة"[16] إضافة إلى هذه العناوين قام المستعرب الفرنسي دورنو بترجمته ونشره في مجلة مجموعة ملاحظات ومذكرات الجمعية الآثرية القسنطينية بعنوان: "قسنطينة في العهد التركي من خلال الصالح العنتري"[17]، وفي السياق نفسه قام المؤرخ يحي بوعزيز بتحقيقه ووضع له[18] عناوين فرعية.

يستهل العنتري الكتاب بالحديث عن بايات قسنطينة بأسلوب الحوليات، مستعرضا أهم الأحداث السياسية والعسكرية والتنظيمات الإدارية لبعض البايات، واهتم بالحروب التي جرت بين الجزائر وتونس. واعتبر العنتري التاريخ الحقيقي لدخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة كان ما بين عامي 1640-1641م، وأول من أرخ له هو الباي فرحات ابتداء من عام (1642-1643م)، وأهمل الفترة السابقة لتاريخ بايليك الشرق[19].

تتميز التجربة التاريخية عند العنتري بعدم التوازن في سرد التواريخ، فكثيرا من البايات اكتفى بذكر سنوات توليتهم وانتهاء مهامهم، ولا يقل عددهم عن سبعة عشر باياً، وتوسع في أخبار الحاج أحمد باي ودخول الفرنسيين إلى مدينة قسنطينة. ومما يلاحظ في تأريخ حياة أحمد باي أن العنتري تحامل عليه كثيراً، وعلى الحكم العثماني وذلك لعدة اعتبارات منها:

- أن أحمد باي كان وراء مقتل والد العنتري، أو تسبب في مقتله سنة 1837م.
- إملاءات الضابط بواسوني واضحة الخطوط لأنه هو الذي اقترح على العنتري تأليف الكتاب، ومن خلال ما دوّن في مصنف العنتري اتضح جلياً أنه أبرز مساوئ النظام العثماني ومحاسن النظام الفرنسي.
- كان العنتري يريد من هذا الإطراء كسب ود بواسوني واستعطافه للبقاء في وظيفته.
- تباهي العنتري بقدوم الدوق دومال إلى قسنطينة كحاكم جديد، على الإقليم في أواخر سنة 1843م.

على الإدارة الفرنسية بأن يكون مرافقا للأمير في سجنه ببو (Pau) وأمبواز (Amboise) سنة 1848م[22].

بعد تأسيس المدارس العربية الفرنسية سنة[23] 1850م من أجل تكوين إطارات جزائرية في ميادين القضاء والتدريس والترجمة، اقترح إسماعيل أوربان (1812-1884) (Urbain Thomas Apolline)[24] على الإدارة الفرنسية اسم الشاذلي واختاره ليكون مديرا للمدرسة بقسنطينة[25]، وهذا إلى غاية وفاته سنة 1877م[26].

ولد محمد الشاذلي سنة 1807م في عصر كانت قسنطينة تشهد فيه أزهى عصورها الثقافية بفضل العلماء والطلبة الذين كانت تزخر بهم المساجد والزوايا في أنحاء البلاد[27]، وكانت معظم هذه المؤسسات تعج بالكتب والمكتبات العامرة.

لقد ذكر مترجم الجيش الفرنسي شارل فيرو (Charles Féraud) أنه في سنة 1866 كانت مكتبة سي حمودة الفكون تعد من أغنى المكتبات العربية في الجزائر[28]، وحسب الإحصاء الذي قام به البارون دو سلان (Baron de Slane) (1801-1878) سنة 1845م فقد بلغ عدد مخطوطات هذه المكتبة أربعة ألاف كتاب[29]. ولكنها تعرضت ما بين سنوات 1886-1898 إلى التلف والسرقة وبيعت مخطوطاتها النفيسة، وفي هذا الصدد يقول ألان كريستو (Cresto): "إنه بينما كان حمودة الفكون يحتج أمام المحكمة الاستعمارية في قسنطينة بخصوص ناحية الكدية التي كانت ملكاً للعائلة لأن فيها توجد مقبرة أفراد العائلة، وأن أجداده كانوا القيمين الروحيين على المدينة، قام المقرضون الفرنسيون بحجز مجموعة المكتبة التي تقدر بأربعة ألاف مخطوطة ثمينة، ثم باعوها بأثمان بخسة".

وفي سنة 1892 كتب المستشرق فانيان (Edmond Fagnan) كلمة مؤثرة عن ضياع ما بقي من مكتبة شيخ الإسلام الفكون[30]، وروى كيف تفرقت وضاعت، وأن أحد الدائنين باعها بالمزاد العلني بطريقة وزن الورق القديم، وأن كيساً مليئاً بالكتب الثمينة قد بيع بثلاثين فرنكاً مما أدى إلى تضاءل عدد مخطوطاتها ليصل إلى 2000 كتاب[31]. ولم يتبقى من أغنى مكتبة شرقية في الجزائر خلال العهد الاستعماري سوى 220 مخطوطة بعد الاستقلال (1962)، وهي محفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية حيث قام الباحث السنغالي حسن قوارزو بإحصائها وفهرستها سنة 1966، وهي على الشكل التالي.

مخطوطات مكتبة سي حمودة الفكون حسب ميادين المعرفة:

الرقم	ميادين المعرفة	العدد
01	تفسير القرآن	02
02	علوم الحديث	06
03	عقيدة	23
04	لغة عربية	32
05	فقه	33
06	التصوف	12
07	أدب وشعر	78
08	تاريخ	02
09	أسرار الحروف	01
10	الفنون	02
11	الطب	02
12	رياضيات–فلك	02
13	ديانات أخرى	02
14	رسائل	21
15	المنطق	02
المجموع		220

والظاهر أن مكتبة الشيخ باش تارزي هي أيضا لم تنجو من التلف والسرقة والتغريم أثناء الحملة الفرنسية على مدينة قسنطينة سنة 1837م؛ ففي رسالة مؤرخة في 24 جويلية 1845 موجهة إلى السيد رينو (Reinaud) تحدث فيها البارون دي سلان عن زياراته لمكتبات عمالة قسنطينة، وبخاصة مكتبتي سي حمودة الفكون ومكتبة الشيخ باش تارزي، وهما مكتبتين نجتا بأعجوبة من الخراب والتغريم والسرقة.(32) وبعد أسبوع من إرسال دي سلان بتقرير من 16 ورقة إلى وزير المعارف الفرنسية يصف فيها حالة مكتبة الشيخ باش تارزي إذ كتب ما نصه: "تضم مكتبة الباش تارزي حوالي 500 مخطوط عاينتها بنفسي، وهي تتناول قضايا معرفية في المجالات التالية: الفقه والعلوم الدينية، ولاحظت وجود مخطوطتين نادرتين هما: المعارف لابن قتيبة، وتفسير ابن نباتة حول رسالة ابن زيدون(33).

وقد تعرضت مكتبة الشيخ باش تارزي لنفس مصير مكتبة سي حمودة، إذ من خمسمائة مخطوط سنة 1845 إلى مائتين وواحد وعشرون سنة 1954، كلها أتلفت وتبعثرت وخرجت من رفوفها نفائس المخطوطات. وأهم عمل قام به شيربونو (Jacques- Auguste Cherbonneau) (1813-1882) هو

تحريره للفهرسة المنهجية لمكتبة سي بن سعيد باش تارزي إمام وشيخ الحنفية بقسنطينة[34]، وهي تتوزع على النحو التالي[35]

توزيع مخطوطات مكتبة باش تارزي حسب ميادين المعرفة:

الرقم	ميادين المعرفة	العدد
01	تاريخ	13
02	أدب	08
03	منطق	06
04	نحو-بلاغة	22
05	البيان	18
06	العروض	16
07	تاريخ طبيعي	01
08	فلك-رياضيات	07
09	علوم إسلامية	30
المجموع		121

قام الشاذلي خلال (1844-1849) بثلاث رحلات إلى فرنسا وأوروبا، وقد حملته ثاني رحلة إلى انجلترا وبلجيكا. وترك عدة انطباعات حول مشاهداته هناك، وقد دعا الدوق دومال، الذي كان حاكما لإقليم قسنطينة، بعض أعيان الإقليم لزيارة فرنسا، فسافر إلى هناك ثمانية منهم الشاذلي، واستقبلهم الملك الفرنسي لويس فليب (1830-1850) ووزع عليهم الأوسمة، وخلال هذه الزيارة ألقى الشاذلي قصيدة في مدح باريس. أما الرحلة الثالثة (1849-1850) فكان الهدف منها مؤانسة الأمير عبد القادر أثناء سجنه في فرنسا[36].

يقول أبو القاسم الحفناوي في ترجمة الشاذلي: إنه كان كثير الإطلاع، حاد الفكر، قوي العارضة، له أشعار رقيقة"[37]، ويذكر سان كالبر أن الشيخ الموهوب قد أطلعه على مخطوطة بخط الشاذلي وجد فيه كالبر القطعة الشعرية التي عزى بها الشاذلي الأمير عبد القادر في إحدى جواريه وولدها[38]، وقد بلغت قصائد الشاذلي في دراسة كالبر

1- في مدح قسنطينة وأهلها (مترجمة إلى الفرنسية).

2- في مدح باريس وأهلها (مترجمة إلى الفرنسية).

3- في رثاء موت زوجة الأمير عبد القادر (مترجمة إلى الفرنسية).

يتضح من خلال أشعار الشاذلي أنه كان كثير الشعر متعدد الموضوعات والأغراض[39].

من بين الأشعار التي أوردها كالبر في دراسته المترجمة ما جاء في مدح باريس:

بريز عجيب فيـــه نهـــر يشقـــه وسلطانه في الجود والعدل أعـــجب
وأهله في فـــهم العلوم غريبـــة وأمـــرهم في الحرب والصـــنع أغرب

ويقول في مدح قسنطينة وأهلها:

يأهل بلد الهوى ضعوا رحـــالكم فما الرحيل منها إلا من الغلـــط
كيف الرحيل مـــن دار عدلها ظاهر ونحـــل سلطانها بهـــا على سفط
تنســـي الغريب ديـــاره وأوطانه وتلهيه عن تذكار الأهل والخول
لأهلها خلق في الحســـن فـــائقة نالوا بهـــا شرف الثنـــاء المكتمل
كم فيها مـــن عالم لعلمه ضربت مـــن الأفـــاق أكباد الخيل والإبل
وكم مـــن ولي[40] عارف ظاهـــر إليه المفـــزع في الشدات والوحل

ويحسن بنا في الختام أن ننهي هذه الدراسة بالتنصيص على قضايا مركزية تخص هذه الشخصيات التي اختارها المستعرب الفرنسي كالبر في دراسته، وتتمثل فيما يلي:

– إن المبارك والعنتري والشاذلي هم عبارة عن نماذج لعصر مضطرب، فهم عايشوا أحداثا مرت على الجزائر من عصر ذي حكم عثماني إلى عصر فرنسي، ومن ثقافة إسلامية عريقة إلى ثقافة أوروبية.

– الحنكة والدهاء والذكاء الذي استعمله المستعرب الضابط الفرنسي بواسوني من العمل بجهد وتفاني لكسب ود النخبة الجزائرية لصالح فرنسا، ومن ثمّ فتح أبواب الجزائر أمام المغامرات الفرنسية ذات الطابع الاستعماري.

الهوامش:

* وصد بيوغرافي للكتاب الجزائريين في المجلة الأفريقية من خلال دراسة نشرها الكاتب الفرنسي شارل سانت كالبر حول ابن العطار والصالح العنتري ومحمد الشاذلي. ينظر:

Saint-Calbre(C.), «Constantine et quelques auteurs arabes constantinois», In R.A, n°57, 1913, pp.70-95.

(1)–ينظر: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة 2011، ج6، ص ص 14–32. /ج3، ص 311-320.

والمتعارف عليه أن حلقة اللغة العربية في مدينة الجزائر تأسست سنة 1837 وأشرف عليها منذ البداية لويس بريزني (Louis Bresnier) حتى وفاته سنة 1869. راجع:

- Seddiki, Lamaria, LaRevue Africaine de 1856-1962, étude Bibliométrique, Université Constantine1, 2008, p.63.

(2)– حول حركية الإستشراق وتحقيق المخطوطات والتعريف بالمصنفات الجزائرية خلال العهدين العثماني والفرنسي، راجع: حنيفي، هلايلي، " المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها (1830–1962)، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 154–155، تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، فيفري 2014، صص301-332.--- (3) حول المدارس الشرعية، يراجع: كمال، خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور (1850–1951)، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، 2007–2008، 248ص.

(4)- Rinn ,Louis, « Barron Boissonnet »,in,R.A,n°42,1902,pp.133-136.

POUILLON François, Dictionnaire des orientalistes de langue française, Paris, IISMM-Karthala, 2008, 1007 p.

(5)- تأسست لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر في 14 أوت 1837، وكان أغلب منتسبيها من العسكريين، وقد وصل عدد أعضائها إلى 24.

انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ج 6، صص80-99.

(6) - للمزيد حول تراجم هؤلاء الباحثين، انظر:

Féraud, Laurent-Charles.- Les Interprètes de l'armée d'Afrique (archives du corps) Alger, A. Jourdan, 1876,479p.

(7)- ينظر موضوع منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ج1، ص ص 13-37.---- (8)- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 61.

(9)- ولد شارل كالبر في مدينة جيروم الفرنسية في 26 جويلية 1867، وتوفي بمرسيليا في نوفمبر 1938. عمل أستاذاً للآداب بمدرسة قسنطينة منذ نوفمبر 1895 ثم مديراً لمدرسة قسنطينة التي افتتحت في 25 أفريل سنة 1909. تقلد خلالها وظيفة مفتش عام للتعليم والتربية في إقليم قسنطينة. ترجم كتاب الشيخ أحمد المبارك إلى اللغة الفرنسية، ويعد من أبر وجوه الاستعراب الفرنسي في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية. نشر العديد من الدراسات التاريخية في المجلات العلمية منها: المجلة الأفريقية، مذكرات المجلة الجغرافية لمدينة الجزائر وشمال إفريقيا. والمجلة الجزائرية. خلف المستشرق (Edmond Destaing) في إدارة مدرسة الجزائر مابين 1914-1934.ينظر :

Alain, Messaoudi, Les arabisants et la France coloniale, Annexes, ENS. Éditions, 2015, p.319.

(10) - شملت دراسة كالبر الشخصيات الثلاثة: أحمد بن المبارك ابن العطار، محمد الصالح العنتري، ومحمد الشاذلي بن عيسى.

(11) - نشر أوغست كور جدولا مفصلاً عن وثائق فيرو، ينظر :

COUR (A.), «Note sur une collection d'autographes arabes de l'ancien ministre de France au Maroc, Charles Féraud», *In, R.A, n°* 58, 1914, pp.91-117.

تقلد فيرو مهام قنصل فرنسا بطرابلس الغرب وتونس، وأهم كتاب له: مترجمو الجيش الأفريقي:

Interprètes de l'armée d'Afrique, A Jourdan, Alger, 1876,482p.---- (12)- Saint-Calbre, op.cit, p.70.

(13)- ولد الحاج أحمد المبارك بن عمر بن محمد العطار القسنطيني حوالي 1790م بقسنطينة، وتوفي في سنة 1870م. ينظر حول ترجمته: أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، الجزائر: مطبعة دحلب، ط1، 2007، صص360-362.

14)-DOURNON (A.), «Kitab Tarîkh Qosantîna par El-Hadj Ahmed El-Mobârek», *In R.A, n°*57, 1913, p. 265-305.

(15)- الحاج أحمد المبارك، تاريخ حاضرة قسنطينة، (تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر)، الجزائر: المطبعة الرسمية، منشورات المدرسة التطبيقية للدراسات الإسلامية، 1952. للمزيد راجع: أبو القاسم سعد الله، باحث مغمور نور الدين عبد القادر (1890-1981) أستاذاً وكاتباً ومترجماً، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، صص45-47.

(16)- أبو القاسم سعد الله: "رسالة من الشيخ العنتري القسنطيني إلى المترجم فيرو"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد الأول، 1986، ص103. والمخطوط عبارة عن تاريخ بايات قسنطينة. للمزيد راجع: سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ج3، صص297-305. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999، صص 533-540.

(17)- Dournon, A, «Constantine sous les Turcs d'après salah al-Antari», In Recueil des notices de la société archéologique, historique et géographique de Constantine, Vol,16, série 59, Années 1928-1929, pp.61-178

(18)- محمد الصالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة، 2009.

19)- هناك خلاف بين الباحثين والمؤرخين حول التاريخ الحقيقي لبداية الدخول العثماني إلى مدينة قسنطينة واستقرارهم بالبايليك. فنجد المستعربان الفرنسيان أوجين فايست يجعله في عام 1517 وميرسييه أرنست بين عام 1519 و1522م. ينظر:

- VAYSSETTES (E.), «Histoire de Constantine sous la domination turque, de 1517 à 1837», In *RSAC,* 11, 1867. p.277/MERCIER(E), Histoire de Constantine, Constantine. Marle et F.Biron, Imprimeurs-éditeurs, 1903, pp.190 -191.

20)- تاريخ قسنطينة...ص 132.---- 21)- من تآليف العنتري: "سنين القحط والمسغبة ببلد قسنطينة" الذي ألفه سنة 1870 بإقتراح من الضابط الفرنسي أولبر رئيس المكتب العربي بقسنطينة ركز فيه على الأوضاع الاقتصادية لقسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، وهو مصدر مهم لإقليم الشرق، وقد قام الأستاذ رابح بونار بتحقيقه ونشره سنة 1974، بعنوان مجاعات قسنطينة، ومن كتبه أيضا: "هدية الإخوان في موافقة التاريخين وتوقعات الزمان وفوائد متفرقة لها شأن". وهو تقويم مقارن للتاريخين الهجري والميلادي.

22)- SAINT-CALBRE, op.cit,p.76-95.

(23)- كمال، خليل، المرجع السابق، صص120-125.

(24)- أوربان من مواليد كايان الفرنسية، كان من المدافعين عن الجزائريين لصالح تجنيسهم بالفرنسية مع الإبقاء على أحوالهم الشخصية،كما عمل مترجما للإمبراطور الفرنسي نابوليون الثالث أثناء زيارته للجزائر في ماي 1865. للمزيد راجع: Alain, Messaoudi, op.cit, p.351.

(25)- المدرسة الكتانية أسسها الباي صالح (1771-1792) سنة 1789.

(26)- تأسس كرسي اللغة العربية في مدينة قسنطينة في 9 جويلية 1846، وتقلدته الأسماء الفرنسية التالية: Cherbonneau(J.A) :1846-1863- Gustave(R) :1864-1870- Auguste(M) :1870-1892- Motylinski(A.C) :1892-1906/Joly(A) :1907-1913- Cour(A) :1913-1932- Lentin(A) :1933-1944.

أما نظار المدرسة الكتانية بقسنطينة فتولى الإشراف عليها كل من: شاذلي بن عيسى- المكي بوطالب- الحاج المبارك- عبد القادر المجاوي- ابن الموهوب- سعيد بن داوود- محمود بن الشاذلي- محمد بن شنب- سانت كالبير. للمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة : Alain, Messaoudi, op.cit, pp.389-392.

(27)- حول حياة القاضي الأديب الشاذلي راجع الدراسة القيمة: أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني: دراسة ونصوص، طبعة خاصة، الجزائر، عالم المعرفة، 2011، ص165.

28)- Féraud, Charles, « Epoque de L'établissement des Turcs à Constantine », In, R.A, n°10, 1866, p.188.

(29)- Fangan, Edmond, « La collection des manuscrit de si Hammouda », In, R.A, n°36, 1892, p.165.

(30)- حول حياة وأثار شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، راجع: أبو القاسم، سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، صص143-230.

(31) - Ibid, p.165.---- (32)- Lettre du Baron de Slane adressée le 24 juillet 1845 à Reinaud», In Journal asiatique, 4 série, vol. 6, 1845, p. 163.

(33)- Baron de Slane, Rapport adressé à M. le ministre de l'instruction publique suivi du catalogue des manuscrits arabes les plus importants de la bibliothèque d'Alger et de la bibliothèque de cid Hammouda à Constantine, Paris, Imprimerie de Paul Dupont, 1845, p.4.

(34) Cherbonneau, Jacques – Auguste, «Catalogue des manuscrits arabes de si Saïd ben Bachterzi, Taleb de Constantine» In Journal Asiatique, 5° série, n° 4, 1854, pp. 433 – 444----

(35)-Idem.

(36) – أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب...، المرجع السابق، صص37-44.

(37)- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، 1906، ج2، ص386.----(38) Saint Calbre, op.cit, p.86.

(39)- للإطلاع على أشعار الشاذلي يرجى مراجعة: أو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي...، المرجع السابق، صص105-152.

(40)- من بين الأولياء المتصوفة الذين عرفتهم قسنطينة: سيدي راشد- سيدي الأخضر- سيدي الكتاني- سيدي رضوان- سيدي ميمون- سيدي محمد الغراب.

Abstrat:

Constantine region in the writings of Algerians during the colonial period In the light of the African magazine.

Dealing with this study the subject of Constantine scientists through Maketbh French Arabist (SAINT-CALBRE, Charles) in the African Journal of around three characters are: the AlMobarek- Alantari- and judge Chadli illusion of notables city of Constantine lived through two periods of the history of Algeria, the period of the late Ottoman rule and the beginning of the French Algeria.

The reader finds himself or researcher the large amount of information about these three characters through Matrqua of production on the history of Constantine area and at the behest of the colonial administration.

Through this study, we seek first Algerian historical experience in writing the history of Algeria directions by a French orientalist and directives.